﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾ [لقمان: 6 - 7]

مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

التَّعجيبُ مِنْ تَـرْكِ الجِدِّ إلى اللَّهْوِ

لَمّا كانَ قَطْعُ النُّفوسِ عَنِ الشَّهواتِ أعظمَ هُدًى يقودُ إلى حصولِ المُراداتِ، وكانَ اتِّباعُ الشَّهواتِ أعظَمَ قاطِعٍ عَنِ الكَمالاتِ، وكانَ ما دَعا إليهِ (الكِتابُ) هُو الحِكْمَةَ التي نَتيجَتُها الفَوْزُ، وما دَعا إليهِ (اللَّهْوُ) هو السَّفَهَ المُضادَّ للحِكْمَةِ بوَضْعِ الأشياءِ في غَيْرِ مَواضِعِها، المُثْمِرِ العَطَبَ والهلاكَ؛ قالَ اللهُ تَعالى مُعَجِّبًا مِمَّن يَتْرُكُ الجِدَّ إلى اللَّهو - عاطِفًا عَلى ما تَقْديرُه: فَمِن النّاسِ مَن يَتَحَلّى بِهَذِهِ الحالِ، فَيَرْقى إلى درجَةِ أَهْلِ الكَمالِ -: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَشۡتَرِي﴾: (شرى) من معانيهِ الكُلِّيَّةِ: التَّعارُض مِن اثْنَيْنِ في أمْرَيْنِ أخْذًا وإعطاءً مُماثلةً[2]، ومِنْهُ: شَرى الشَّيءَ واشتراهُ؛ إذا أخذَه مِن مالِكِه بالثَّمَنِ، وهذا الفعلُ مِنَ الأضْدادِ؛ يُطلَقُ عَلى الشِّراء والبيع[3]، فالاشْتِراء: أخذُ الشَّيء بثمنٍ، أو إعطاؤُهُ بثمنٍ[4]، ومِن الثّاني قولُ اللّه تعالى: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ﴾ [يوسف: 20] أي: باعُوهُ[5]، والاشْتِراءُ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 145، 146.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شرى).
(3) الأنباريّ، الأضداد، ص: 72.
(4) الفيوميّ، المصباح المنير: (شري).
(5) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن: 7/ 2115.

﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾ يجوزُ أن يكونَ بِمَعْنى الشِّراء المَعْروفِ بِالثَّمَن، ويجوز أن يكونَ مَعْناهُ: اختيارَ الشَّيْءِ واسْتِحْبابَه[1]، والَّذي يظهرُ أنّه مجازٌ بالاستعارة للباحثِ عنِ الشّيءِ، المُنهمِكِ في تحصيلِه، المُحتاجِ له ليقوم بالاستبدال، كالمشتري الَّذي يستبدلُ ما لدَيه بما يَحتاجُه.

2) ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾: (لهو، لهى) تدلُّ كثيرٌ مِن تَصْريفاتِها على شُغْلٍ عن شيءٍ بشيءٍ آخرَ، ومِنْهُ اللَّهْوُ؛ وهو: كلُّ شيءٍ شغَلَ عَن شيءٍ[2]، ويُطْلَقُ على ما يَشْغَلُ الإنْسانَ عَمّا يَعْنيه ويَهُمُّهُ[3]، لا على مُطْلَقِ الشّاغِلِ، ومِنْهُ قولُ اللّهِ تَعالَى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الأنبياء: 3] أي: مُتشاغِلَةً عمّا يُدْعَوْن إلَيْه[4]، وقولُ اللّهِ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا﴾ [الأعراف: 51]، أي: اشْتِغالًا بِما مِنْ شَأنِه أنْ يُنْسيَ كُلَّ نافعٍ[5]، والمرادُ به في قولِ اللّه سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ هُو كُلُّ ما يُلهي عَن طاعةِ اللّهِ سُبحانَهُ، ويَصُدُّ عَن مَرْضاتِه، ومِنْهُ الغِناءُ[6]، أي: يستبدلُ الإصغاءَ إلى القرآنِ الكريم وآياتِه باللَّهْوِ والباطلِ؛ بُغيةَ صدِّ النّاسِ عن سَماعِ الآياتِ المحكماتِ البيِّنات.

3) ﴿هُزُوًاۚ﴾: (هزأ) تدلُّ في تَصاريفِها على مَعْنى السُّخريَّة[7]، ويأتي الهُزْءُ بمعنى الاسْتِخْفافِ[8]، وكأنَّ هذا تفسيرٌ باللّازِمِ؛ فإنَّ الذي يُسْتَهْزَأُ به؛ يُستهانُ بشأنِه ويُستخَفُّ به[9]، وحكى ابنُ جرير أنَّ الاستهزاءَ في كلامِ العربِ معناه: "إظهارُ المُسْتَهْزِئِ لِلمُسْتَهْزَأ به مِنَ القَوْلِ والفِعْلِ ما يُرضيه ظاهرًا، وهُو بذلك مِن قيلِه وفِعْلِه بِه، مورِثُهُ مَساءَةً باطِنًا"[10]، والمرادُ به في الآية: السُّخريةُ والاستخفافُ من تلك الآياتِ المُحكَماتِ والبراهينِ القاطِعات، بدلًا من التّفكُّر بها والانتفاعِ منها.

4) ﴿مُّهِينٞ﴾: (هون) تدلُّ تصريفاتُها على سكينَةٍ أو ذُلٍّ، فَمِنَ الأوَّل: الهَوْنُ؛ وهو

(1) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن: 7/ 2115.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لهو).
(3) الرّاغب، المفردات: (لهى).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (لهى).
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 409.
(6) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 411.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (هزأ).
(8) السَّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (هزأ).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هزأ).
(10) ابن جرير، جامع البيان: 1/ 303.

السَّكينة والوقارُ، ومن الآخَرِ قولُهُم: رجلٌ فيه مَهانة، أي: ذُلٌّ وضَعف[1]، والهوانُ على ضَرْبَيْنِ[2]؛ أحدُهُما: تذلُّلُ الإنسانِ في نفسِه لِما لا يَلْحَقُ بِهِ غضاضَةٌ، فهُو ممدوحٌ، كقولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: 63]، والآخَرُ: أن يكونَ مِن جهةِ مُتَسَلِّطٍ مُسْتَخفٍّ به، فَهُو مذمومٌ، ومنهُ قولُه سُبْحانَهُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾ [الأنعام: 93]، والمُهينُ منَ العَذابِ: هُوَ العذابُ المُذِلُّ الذي يَسْحَقُ نفوسَهُم؛ جَزاءً لِتَكَبُّرِهِمْ[3].

5) ﴿وَلَّىٰ﴾: (ولي) تَدُلُّ تَصْريفاتُها عَلى لُزومِ الشَّيءِ شَيْئًا آخرَ تبعًا لَهُ مَع نَحْوٍ مِنَ الاشْتِمالِ، ومِنْهُ الوَلِيُّ؛ ويُطلَقُ عَلى المُعْتِقِ، وعلى كلِّ ذَوي العَلاقَةِ المُتَمَكِّنة، كالجارِ والعَصَبة[4]، وتدلُّ المادَّةُ أيْضًا عَلى مَعْنى الاتِّجاه إلى شَيْءٍ أو وِجْهة، ومنهُ قَوْلُهُم: ولّى وجْهَهُ شَطْرَ كَذا، أي: توجَّهَ إليها، ومنه قولُ اللّه تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة: 144]، والتَّوَلّي: الانصرافُ، ثم تُعيَّن الجهةُ بالحَرْفِ، فإذا عُدّيَ بـ (إلى)؛ كانَ بِمَعْنى الانْصِرافِ على وجْهِ الإقبالِ، ومِنْهُ قولُ اللّه تَعالى: ﴿لَوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ﴾ [التّوبة: 57]، وقولُهُ: ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم﴾ [الأحقاف: 29]، وإذا عُدّي بـ (عَنْ)؛ كان بمعنى الانصرافِ عَلى وجهِ الإعْراضِ والإدْبارِ، والحالُ تُبَيِّنُ ذلك غالبًا، ومنهُ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾[5]، أي: أعرضَ مُنصرِفًا عن سماعِ الآيات، مُقترنًا بهيئةِ المُستكبرينَ عليها.

6) ﴿وَقۡرٗاۖ﴾: (وقر) تَدُلُّ اشْتِقاقاتُها عَلى ثِقَلٍ في شَيْءٍ، ومِنْهُ الوَقْر؛ وهُو الثِّقَلُ في الأُذُن[6]، والوِقْرُ: الحِمْلُ الثَّقيل[7]، وأكثرُ ما يُسْتَعْمَلُ في حِمْلِ الحِمارِ والبَغْلِ[8]، والوقيرُ: القَطيعُ العَظيمُ مِنَ الضَّأن، سُمّيَ بذَلِكَ لأنَّه لكَثْرَةِ أفراده يَبْطُؤُ سيرُ الضَّأنِ ويثقلُ[9]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هون).
(2) الرّاغب، المفردات: (هان).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (هون).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ولي).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ولي).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وقر).
(7) ابن سيده، المحكم: (وقر).
(8) ابن الأثير، النّهاية: (وقر).
(9) الرّاغب، المفردات: (وقر).

والوَقْرُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ الصَّمَمُ[1]؛ فهو لازمُ مَعناه الأصليِّ؛ إذ مَن وضعَ شيئًا في أُذُنَيهِ فإنّه يُبطِئُ من سَمْعِه حتّى يَعجِزَ عن سماعِ ما حولَه مع شِدَّةِ وُضوحِه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تَوَعُّدُ المُعْرِضِ عَنْ آياتِ اللهِ تَعالى بِعَذابِ النّارِ الموجِعِ

ومِنَ النّاس مَن يَشْتَري لَهْوَ الحديثِ - وهُو كُلُّ ما يُلهي عَن طاعةِ اللّهِ سُبحانَهُ ويَصُدُّ عَن مَرْضاتِهِ -؛ ليُضِلَّ النّاس عن طريقِ الهُدى إلى طَريقِ الهَوى، ويتَّخِذ آياتِ اللّهِ تَعالى سُخْريَّة، أُولئكَ لَهُم عذابٌ يُهينُهُم ويُخْزيهِم، وإذا تُتْلى عَلى هذا الذي اشْتَرى لَهْوَ الحديثِ لِلإضْلالِ عَن سبيلِ اللّهِ آياتُ كتابِ اللّهِ سُبحانَهُ، فَقُرِئَت عليهِ؛ أدْبَر عَنْها، واسْتَكْبَر اسْتِكْبارًا، وأعْرَض عَن سَماعِ الحقِّ والاستجابَةِ له، كأنَّ في أُذُنَيْهِ ثِقْلًا فَلا يُطيقُ مِن أجلِهِ سَماعَهُ، فَبَشِّر هذا المُعْرِضَ عَن آياتِ اللّهِ بِعَذاب مُوجِعٍ؛ وذلك عذابُ النّارِ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الوصل في الآية:

بَيانُ أصْنافِ النّاسِ في الهِدايَةِ والضَّلالَةِ

الواوُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾، عاطفةٌ الجملةَ بعدَها عَلى ما قَبْلَها بحسَبِ المَعْنى، كأنَّه قيلَ: مِن النّاس هادٍ مَهْديٌّ، ومِنْهُم ضالٌّ مُضِلٌّ[3]، ويجوزُ أن يكونَ مِن بابِ عَطْفِ القِصَّة على القِصَّة[4]، وعلى التّوجيهينِ المارّينِ فإنَّ الجامعَ بينَ الفريقين التّضادُّ، وهو من ألوان الجامعِ الخياليِّ بينَ المتعاطفات، وذَكَر بعضُ أهلِ العِلْمِ أنَّها للحالِ، وعاملُ الحالِ: ما في اسْمِ الإشارَةِ ﴿تِلۡكَ﴾ مِن مَعْنى الفِعْلِ،

(1) نشوان الحِميريّ، شمس العلوم: (وقر).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 131، ونخبة من أساتذة التفسير، التَّفسير الميسّر، ص: 411.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 146.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 66.

والتَّقدير: أُشيرُ إلى آياتِ الكِتابِ حالَ كونِها هدًى ورحمةً، والحالُ أنَّ مِنَ النّاسِ مَن يَشْتَري لَهْوَ الحديثِ ... إلى آخِرِه[1]، وهَذِهِ المَعاني غيرُ مُتَنافيةٍ، فَلا مانِعَ مِن إرادَةِ ذَلِكَ كُلِّه.

مَعْنى (مِنْ) في قَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾:

الضّالُّ مِنَ النّاسِ صِنْفانِ ضالٌّ في نَفْسِهِ وضالٌّ في نَفْسِهِ مُضِلٌّ لِغَيْرِهِ

حرفُ الجَرِّ (مِن) في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ دالٌّ على التَّبْعيض، أي: بعضُ النّاسِ مَنْ يَفْعَل ذلكَ[2]؛ إذِ النّاسُ فيهِم المُؤْمِنُ والكافِر، والصّالِح والطّالِح، والمُهْتَدي والضّالُّ، والضّالُّ مِنَ النّاسِ: فيهِم الضّالُّ في نفسِه فقَطْ، والضّالُّ في نفسِهِ المُضِلُّ لغيْرِه.

دِلالَةُ اللّامِ في ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

اخْتِلافُ مَعاني الحُروفِ لَهُ أَثَرٌ في ثَراءِ المَعاني القُرْآنِيَّةِ

اللّامُ في ﴿ٱلنَّاسِ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إمّا للعهد، ويُرادُ بهم المُصِرُّون على الكُفْرِ؛ إذِ الآيةُ واردَةٌ أصالةً فيمَن يَفْعَلُ ذلكَ مِنَ الكُفّار، ثُمَّ يَكونُ لِمَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِمَّن يَنْتَسِبُ إلى الإسْلامِ نَصيبٌ مِنَ الآيَةِ، ويكون التّبعيضُ بالنّظر إلى الكافرينَ الضّالّين؛ لتخصيصِ المُضلّينَ منهم، ويحتَمِلُ أن تكونَ اللّامُ للجنس، ويُراد بها العُموم، فالمُرادُ بالنّاس: النّاسُ كُلُّهُمْ، ويكون التّبعيضُ ناظرًا للنّاس كلِّهم لتخصيصِ مَن ذُكِرَت أوصافُهم في الآيةِ.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿ٱلنَّاسِ﴾:

بَيانُ حَقارَةِ المُضِلّينَ

في التَّعبيرِ عَن هَؤُلاءِ المُضِلّينَ بالنّاس في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تحقيرٌ لَهُم، كأنَّهُ لا صفةَ لَهُم تُمَيِّزُهم سِوَى صورةِ الإنسانيَّة، فالتَّعبيرُ بالنّاس تنبيهٌ على أنَّهُ ليس لَهُم مِنَ الصِّفات إلّا الوصفُ الآدميُّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 141.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 69، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 66.

الأصليُّ؛ وهُوَ أنَّهم ناسٌ مِن النّاس[1]، في حينِ لمّا أرادَ وصفَ صورةِ المُهتدينَ المُقبلينَ على سماعِ الآياتِ البيِّنات سمّاهم (المُحسنين).

فائِدَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾:

التَّشْويقُ إلى تَلَقّي الخَبَرِ العَجيبِ

في تَقديمِ الجارِّ والمَجْرورِ الواقعِ خبرًا (مِنَ النّاس) مِن قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ تشويقٌ إلى تَلَقّي خَبَرِه العَجيب[2]، وفيه أيضًا: إشعارٌ بأنَّ فاعلَ ما سيُذكَرُ بعدُ هُو منَ النّاسِ؛ لئَلّا يُظَنَّ أنَّهُ مِنْ جنسٍ آخرَ؛ لقُبْحِ الفِعْلِ المَذْكورِ.

مَعْنى ﴿مَن﴾ ودِلالَتُها في ﴿مَن يَشْتَرِى﴾:

كَثْرَةُ مَنْ يَشْتَري لَهْوَ الحَديثِ بِقَصْدِ الإضْلالِ عَنْ سَبيلِ اللهِ تَعالى

﴿مَن﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ اسمٌ موصولٌ، وهُو مِنَ المَوْصولاتِ المُشْتَرَكَة، الصّادِقةِ على الواحدِ والواحِدَةِ، والاثْنَيْنِ والاثْنَتَيْن، والجمعِ مُذَكَّرا كانَ أو مُؤَنَّثا، وهيَ في الآيةِ دالَّةٌ على الجَمْعِ؛ لأنَّ مَن يَفْعَلُ ما ذُكِرَ في الآيَةِ منَ العُقلاءِ غيرُ قليلٍ، ونَلْمَحُ في التّعبيرِ ما يدلُّ على الكثرة؛ لإبهامِ المتحدَّث عنه، ثُمَّ ما كانَ كَذلِكَ مِنَ المَوْصولاتِ؛ تارةً يُراعَى فيهِ اللَّفظ فيُفْرَدُ، وتارةً يُراعَى فيهِ المَعْنى فيُجْمَعُ، وقد جاءَ ذلكَ كلُّه في هذه الآيةِ، فَقَدْ رُوعيَ فيهِ اللَّفْظُ أوَّلًا في ﴿يَشْتَرِى﴾ و﴿لِيُضِلَّ﴾ و ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾، ثُمَّ رُوعيَ فيهِ المَعْنى في ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ و ﴿لَهُمْ﴾، ثُمَّ عادَ الأمْرُ إلى مُراعاةِ اللَّفْظِ في الآيَةِ التي بَعْدُ[3].

غَرَضُ التَّعْبيرِ بِالاسْمِ المَوْصولِ وصِلَتِهِ:

الإضْلالُ عَنْ سَبيلِ اللهِ تَعالى سَبَبٌ لِلعَذابِ المُهينِ

في التَّعبيرِ بالاسْمِ المَوْصولِ وصِلَتِه ﴿مَن يَشْتَرِى﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾؛ لإرادَةِ التَّعليلِ والإيماءِ إلى وجْهِ بِناءِ الخبرِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 146.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 142.
(3) القِنَّوجي، فتح البيان: 10/ 274.

وأنَّ ما يَحْصُل لَهُم مِنَ العَذابِ المُهين إنَّما هُو بِسَبَبِ اشْترائِهِم لَهْوَ الحديثِ وإعراضَهم عن سماعِ الآيات البيّنات كُفرًا وجُحودًا وسُخريةً بِقَصْدِ الإضْلالِ عَن سَبيلِ اللّه ﷻ، فيكونُ لَفْظُ الآيةِ شاملًا كُلَّ مَن تحقَّق فيهِ هَذا الوَصْفُ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ:

اسْتِمْرارُهُمْ في شِراءِ لَهْوِ الحَديثِ

جاءَ التَّعبيرُ بالفعل المُضارِع ﴿يَشْتَرِى﴾ من قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾؛ للدّلالةِ عَلى التَّجدُّد الاستمراريِّ، وذلك دالٌّ على أنَّ صنيعَهُم في شراءِ لهْوِ الحديثِ حاصلٌ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ على وجْهِ الدَّوامِ.

دلالَةُ الاشْتِراءِ بَيْنَ الاسْتِعارَةِ والكِنايَةِ:

بَيانُ شِدَّةِ انْحِرافِهِمْ وعِظَمِ ضَلالِهِمْ

الاشْتِراءُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ مجازٌ يُرادُ بِهِ اخْتيارُ الشَّيْءِ، وصَرْفُ عقلِه بِكُلّيَّتِه إليه[1]، وهذا المجازُ يَجوزُ تَخْريجُه عَلى وجْهَيْنِ؛ أحدهما: أن يكونَ مجازًا مُرْسَلًا بعلاقة المَلْزوميَّةِ؛ بحيثُ أُطْلِقَ المَلْزومُ وهُو الاشْتِراءُ، وأُريدَ لازِمُهُ، وهو الحِرصُ على الشَّيء وصرفُ النَّفس إليهِ بالكُلّيَّة، ويكون المَعْنى: أنَّهُم حَرَصوا على لَهْو الحديثِ، وزَهِدُوا في مُقابِلِه وهُوَ القرآنُ الكريمُ، والآخَرُ: أن يكونَ ذلك مَجازًا بالاسْتِعارةِ التّصريحيَّة التّبعيَّة؛ حيثُ استُعير الاشتراءُ لِلإعْراض عمّا في حيازَةِ المرءِ طالبًا تَحْصيلَ غيرِه، وهذا في الأصْلِ: يَكون في المَعاني ويكونُ في الأعْيان، وفي هذه الاسْتِعارةِ مِنَ المُبالغةِ في الدّلالَةِ على انْحِرافهم قدرٌ عظيمٌ؛ حيثُ إنَّ أخْذَهمُ لَهْوَ الحديثِ كان طواعيَّةً وعَنِ اختيارٍ مِنْهُمْ، وهذا غايةٌ في السَّفَهِ؛ أنْ يَبْذُلَ الإنسانُ الجليلَ ليأخذَ الحقيرَ! ثمَّ إنَّ مُعاملتَهُم ليستْ مُجَرَّدَ تبادُلٍ يُوشِكُ أنْ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 67.

يَرجعوا فيهِ؛ وإنَّما هو اشتراءٌ لا رجوعَ فيهِ؛ لِلُزومِهِ، وهذا أقْصى ما يكونُ في الانْحِرافِ وعَمى البَصيرَةِ، ويحتملُ أنْ يكون النّظمُ منَ الاستعارة المكنيَّة؛ بأنْ شَبَّهَ ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ بالمالِ المحترم مبالغةً في الهُزء بالآيات والإعراضِ عنها، ثمَّ حذفَه وأبقى من خواصِّه الاشتراءَ، وعلى الاستعارتين يكونُ الكافرُ المُعرِضُ عن سماعِ الكتابِ الحكيم وهُداه ورحمتِه، قد استبدلَ ما هو نافعٌ له بأمرٍ حقيرٍ، معَ الحرصِ على تحصيلِ ذلك، كالمشتري الحريصِ على تحصيلِ ما يريدُه، ويكون قد فَضَّل الحديثَ المُحرّمَ الفاحشَ على الحديثِ الطيِّبِ المُبارك، مُحاولًا نقضَ جمالِ القرآن والآياتِ البيِّنات بذلك الكلامِ الَّذي فيه اللهْوُ والعبثُ والضَّلال.

وذهبَ ابنُ عاشورٍ إلى أنَّ الاشْتِراءَ في الآيَةِ لَيْسَ اسْتِعارةً، وإنَّما هُو كنايَةٌ عَنِ العِنايَةِ بِالشَّيْءِ والاغْتِباطِ بِهِ[1]، والفرقُ بينَه وبينَ التّوجيهِ الأوَّل: أنَّ الكنايةَ يجوزُ فيها إرادةُ المعنى الأصليِّ بخلافِ المجاز المرسَل، ويَجوزُ أن يكونَ الاشْتِراءُ حَقيقةً، بِمَعْنى شِراءِ المُغَنّياتِ أو آلاتِ اللَّهْوِ والطَّرب[2].

نُكْتَةُ إضافَةِ اللَّهْوِ إلى الحَديثِ:

بَيانُ جِنْسِ اللَّهْوِ المُشْتَرَى

إضافَةُ اللَّهْو إلى الحديثِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ إضافةٌ بِمَعْنى (مِنْ) للبيان؛ وذلكَ لأنَّ اللَّهْوَ قَد يكونُ مِنَ الحَديثِ وقَد يكونُ مِن غَيْرِه، فبيَّنتِ الإضافَةُ أنَّ المرادَ باللَّهوِ ما كانَ مِنَ الكَلامِ، والمَعْنى: ومِنَ النّاسِ مَن يَشْتَري اللَّهْوَ مِنَ الحَديثِ[3]، واللّامُ في ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ لِلعهْدِ العلميِّ، والمرادُ بِهِ الحديثُ المكروهُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 142.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 409.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 409، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 142.

أو المُنْكَرُ[1]، وإنَّما خصّ اللهو بالحديث مع أنَّ وسائلَ اللهو كثيرةٌ ومتعدّدةٌ؛ لأنَّ الحديث هو كلامٌ، فيُقابلُ الآياتِ وكلامَ الله تعالى، ويكونُ الكافرُ المُعْرِض قد فضَّلَ الحديثَ البشريَّ العابثَ الخالي من الإحكام والإتقان، وسعى في بيان جماله معارِضًا الكلامَ الإلهيَّ المُحكَم، مُحاولًا ردّ إعجاز القرآن ومُكذِّبًا لأحكامه وتشريعاته، ببيان أنَّ الكلامَ العربيَّ منَ الشِّعْر وغيره أبدعُ من أسلوب القرآن الكريم، فأفادتِ الإضافة أنْ لا مقارنةَ بين كلامه تعالى وكلام البشر؛ إذ كلامُه كلُّه حكمةٌ وهُدىً ورحمةٌ، وكلامُ غيره فيه عبثٌ وسفاهةٌ ولهْوٌ.

مَعْنى اللّامِ في ﴿لِيُضِلَّ﴾:

بَيانُ غايَتِهِمْ مِنِ اشْتِراءِ لَهْوِ الحَديثِ وهُوَ الإضْلالُ عَنْ سَبيلِ اللهِ تَعالى

اللّام في ﴿لِيُضِلَّ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ للتَّعليل[2]، والمَقْصودُ بيانُ هَدَفِهم مِن اشْتِراء لَهْو الحديث؛ وهُوَ الإضلالُ عَن سبيلِ اللهِ سُبحانَهُ، وفي تعليلِ الاشتراءِ بالإضلالِ بيانٌ لشدّةِ الانحراف، فلم يكتفوا بضلالِهم المُبين، بل سعَوا إلى نشر ضلالاتِهم على أعيُنِ النّاس صَدًّا لهم عن سماعِ آياتِ الكتابِ الحكيم.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿لِيُضِلَّ﴾:

الإضْلالُ عَنْ سَبيلِ اللهِ تَعالى دَيْدَنُهُمْ وعادَتُهُمْ

جاءَ التَّعبيرُ بالفعل المُضارِع ﴿لِيُضِلَّ﴾ من قولِ الله تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لإفادَةِ التَّجدُّد الاستمراريِّ، وذلك لأنَّ الإضلالَ عَن سبيلِ الله سُبْحانَهُ عادَتُهم ودَيْدَنُهم، بحيثُ لا يَفْتُرون عَن ذلكَ، كما أنَّ الفعل منصوبٌ بـ(أن) المُضمرةِ الدّالّةِ على الاستقبال، فيفيد أنَّ إضلالَهم امتدّ في الزّمن المستقبل، بما يدلُّ على الانهماك في نشر الضَّلال، والصّدِّ عن سماعِ الآيات البيّنات.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 67.
(2) القِنَّوجي، فتح البيان: 10/ 276.

نُكْتَةُ حَذْفِ مَفْعولِ ﴿لِيُضِلَّ﴾:

عَظيمُ انْحِرافِهِمْ وشِدَّةُ حَنَقِهِمْ على دينِ الإسلامِ

الفِعْلُ ﴿لِيُضِلَّ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مِنَ الفِعْلِ الرُّباعيِّ (أضلَّ)، وهو فعلٌ متعدٍّ، ومفعولُهُ مَحْذوفٌ، والتَّقديرُ: ليُضلَّ غيرَهُ[1]، أو ليُضلَّ النّاسَ جميعًا، فيكونُ حَذْفُ المَفْعولِ لإرادَةِ العُمومِ، مبالغَةً في بَيانِ انْحِرافِه وشِدَّة حَنَقِهِ على هذا الدّين، بحيثُ لو أَمْكَنَهُ أن يُضِلَّ النّاس جميعًا؛ لفَعَلَ ذَلِكَ، ولعلَّ الحذفَ للمتعلَّق ليتمَّ التّركيزُ على الحَدَث ومُسارعتِهم في الإضلالِ، ورغبتِهم في الصّدِّ والعُدوان، وتفنيدِ الكلام الحقِّ بالمُهاترات والكلامِ العبثيِّ.

تَوْجيهُ القِراءاتِ في ﴿لِيُضِلَّ﴾:

ضَلالُهُمْ في أنْفُسِهِمْ وإضْلالُهُمْ غَيْرَهُمْ

في ﴿لِيُضِلَّ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قراءتانِ مُتواترتانِ؛ **إحداهُما**: ﴿لِيَضِلَّ﴾ - بفَتْحِ الياءِ - وهيَ قراءةُ ابْنِ كثيرٍ وأبي عَمْرٍو، ووافَقَهُم رُوَيْسٌ من بعضِ طُرقِهِ، **والأُخرى**: ﴿لِيُضِلَّ﴾ - بضَمِّ الياء - وهي قراءةُ باقي العشَرَة[2]، فمَن قَرَأَ ﴿لِيَضِلَّ﴾ فَهُو مِنَ الضَّلال، والمَعْنى: ليَصيرَ أمرُهُ إلى الضَّلال، فَهُو وإنْ لَم يَقْدِر أن يُضلَّ غيرَه، فإنَّ أمرَهُ يَصير إلى أن يَضِلَّ في نفسِهِ، وفيهِ وجْهان آخرانِ في المعنى؛ أحَدُهما: ﴿لِيَضِلَّ﴾ أي: ليَثْبُتَ عَلى ضلالِهِ الذي كانَ عليهِ قَبْلُ، ويَزيدَ فيهِ، والآخر: أنَّ ﴿لِيَضِلَّ﴾ واقعةٌ موقعَ ﴿لِيُضِلَّ﴾ من جهة أنَّ مَن أضلَّ غيرَهُ؛ كان ضالًّا لا محالةَ، وأمّا مَن قرأ ﴿لِيُضِلَّ﴾؛ فَهُو مِنَ الإضلالِ، أي: ليُصَيِّر غيرَهُ ضالًّا كما ضلَّ هُوَ وانحرفَ عنِ الهُدى[3]، والقراءتانِ مُتَكامِلَتانِ.

ولا يخفى أنَّ قراءة التّعديةِ إلى الغير تُظهرُ كمالَ الانحراف عنِ

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 361.

(2) ابن الجزريّ، النشر: 2/ 299، والبنّا، إتحاف فضلاء البشر، ص: 447.

(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 98، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 410، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 147.

الكتاب وآياته، إذ يَسعى جاهدًا لمُحاربةِ كلام الله تعالى بإظهارِ مزايا كلامِ غيره، ظنًّا منه أنّه بذلك الصَّنيعِ يتفوّقُ الكلامُ الذي فيه العبثُ واللهو والباطل، على الكلامِ المُحكَم المَتين.

نُكْتَةُ تَعْدِيَةِ فِعْلِ الإضْلالِ بِـ ﴿عَن﴾:

مُجاوَزَتُهُمْ سَبيلَ اللهِ تَعالى إلى غَيْرِهِ مِنَ السُّبُلِ المُنْحَرِفَةِ

﴿عَن﴾ في قولِ الله تَعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تدلُّ على المُجاوَزَة - على ما هُو الأصلُ فيها -، وفي تَعْدِيَةِ فِعْلِ الضَّلالِ أو الإضلالِ به إيماءٌ إلى مُجازَوَةِ هُؤلاء لِسَبيل الله تعالى ودينه الحَقِّ إلى غيرِهِ مِنَ الطَّرائق الباطِلة؛ على قِراءَةِ (ليَضِلَّ)، أو أنَّهم يُبالِغون في حَرْفِ النّاسِ عن طَريقِ الحقِّ، بحَيْثُ لا يَسْلُكونَ مِنْهُ شيئًا؛ إمْعانًا في الإضْلالِ؛ عَلى قِراءَةِ ﴿لِيُضِلَّ﴾.

فائِدَةُ إضافَةِ السَّبيلِ إلى الاسْمِ الأحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾:

تَشْنيعُ حالِ المُضِلّينَ

إضافةُ السَّبيلِ إلى الاسْمِ الأحْسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يُراد بها تعظيمُ السَّبيلِ، ولازِمُ ذلك: تَفْظيعُ شأنِ المُضِلّين عن هذا الأمْرِ الجَليلِ، والنِّداءُ عليهم بالانْحِرافِ والضَّلالِ، وفي هذهِ الإضافَةِ إيماءٌ إلى أنَّه طريقٌ موصِلٌ إلى رِضا المَلِكِ الجامِعِ صِفاتِ الكَمالِ والجَلالِ والجَمال[1].

بَلاغَةُ الاستعارة:

اجْتِهادُهُمْ في الباطِلِ لِقَصْدِ إضْلالِ الخَلْقِ عَنِ الحَقِّ

جاءَ التَّعبيرُ عَن دينِ اللهِ تعالى وشَرْعِهِ بالسَّبيلِ في قَوْلِه تَعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ بطريق المجاز الاستعاريّ؛ إذ شُبِّه دينُ الله بالسَّبيل والطَّريقِ الموصِلِ إلى الله؛ لِما يدلُّ عليه السَّبيلُ مِنَ الامْتِدادِ والسُّهولةِ والسَّعَة[2]، والإضلالُ عَمّا هذا وصْفُهُ يَفْتَقِرُ إلى قُوَّةٍ في هذا المَنْعِ واجتهادٍ فيه، فَفي هذا إيماءٌ إلى اجْتِهادِهِم في باطِلِهِمْ لإضْلالِ الخَلْقِ عَنِ الدّين الحقِّ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 148.

(2) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 281 - 284.

مَعْنى الباءِ في ﴿بِغَيْرِ﴾:

عَظَمَةُ غَفْلَتِهِمْ وعَمى بَصائِرِهِمْ

الباءُ في ﴿بِغَيْرِ﴾ مِن قولِ اللّه تَعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لِلمُصاحبَةِ والمُلابَسَة، أيْ: أنَّ ضلالَهُمْ وإضلالَهُمْ واقعٌ بمُصاحبَةِ جَهْلِهِم بِحالِ السَّبيلِ معَ وُضوحِها وظُهورِ شَأنِها؛ لِعَمى بَصائِرِهِم وعِظَمِ غَفْلَتِهِم وسُوءِ نَظَرِهِم.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ لَفْظِ العِلْمِ:

خُـلُـوُّهُـمْ مِـنَ العِلْمِ بِشَيْءٍ مِنْ حالِ سَبيلِ اللهِ تَعالى

نُكِّر لفظُ ﴿عِلْمٍ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ ليُفيد عمومَ النَّفْيِ لِكُلِّ نَوْعٍ مِن أنواعِ العِلْمِ؛ والمَعْنى: أنَّهُم لا عِلْمَ لَهُم بِشَيْءٍ مِن حالِ السَّبيلِ لا حالِ غَيْرِها عِلْمًا يَسْتَحِقُّ إطْلاقَ لَفْظِ العِلْمِ عليه، بكونِه مفيدًا رِبْحًا أو مُبْقيًا على رأسِ المالِ مِن دينٍ أو دُنْيا، وهذا حالُ كلِّ مَن عَدَلَ عنِ الحقِّ إلى الباطِلِ وعن الهُدى إلى الضَّلالِ[1].

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِلجارِّ والمجرور:

زيـادَةُ تَقْبيحِ شَأنِهِمْ وتَشْنيعِ صَنيعِهِمْ

الجارُّ والمجرورُ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ في مَوْضِعِ الحالِ[2]، أي: يضلُّ عَن سبيلِ اللّهِ حالَ كونِهِ خاليًا منَ العِلْمِ الذي ينفَعُهُ، وفائدةُ هذا القَيْدِ: زيادَةُ تَشْنيعِ شأنِهِمْ وتقبيحِ صَنيعِهِم، كما يُحقّقُ هذا القيدُ الاحتراسَ عن كونِ إضلالِهِم وسعيِهِمُ الباطلِ مبنيًّا على يقينٍ بما هم فيه ساعون، بل كلُّ ما يدفعُهُم إلى هذا الباطلِ والصّدِّ عن سبيلِ اللّه قائمٌ على أوهامٍ وظنونٍ وشكوكٍ لا نصيبَ لها منَ الثّباتِ والقُوَّة.

مَعْنى الواوِ في ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾:

الواوُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ عاطفةٌ الفعلَ بَعْدَها على فِعْلِ الإضْلالِ في ﴿لِيُضِلَّ﴾، وذلكَ عَلى قِراءَةِ مَن نَصَبَ فِعلَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 148.
(2) النّحّاس وغيره، إعراب القرآن الكريم: 3/ 25.

الاتِّخاذ؛ بيانًا لكونهم قد جَمَعوا بينَ فعلين قبيحين؛ أوّلُهما: إضلالُ النّاسِ عن طريق الصَّواب بالإعجاب بلَهْوِ الحديث، وبيانِ أنَّه مُشتملٌ على حكمةٍ وبيانٍ أعلى منَ القرآن الكريم، وثانيهما: اتّخاذُ آياتِ اللّه مثارًا للسّخريَةِ والاستخفاف، عندما يَجِدُ لهْوَ الحديث غيرَ قادرٍ على تصويرِ ما يتحدّثُ عنه البيانُ القرآنيُّ، من مواقفَ إزاءَ الحياةِ والإنسانِ والكون، فيثيرُ مُتعمّدًا الهُزْءَ بها أمامَ الآخرين، وأمّا عَلى قِراءَةِ فِعْلِ الاتِّخاذِ بالرَّفع ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ [1]؛ فالواوُ اسْتِئْنافيَّةٌ، دالّةٌ على استقلالِ كلٍّ منَ الجملتين؛ إظهارًا لشناعةِ ما يُقدِمونَ عليه جهلًا بعاقبته ومآله.

جَمْعُ أهلِ الباطلِ بَيْنَ الإضلالِ عَنْ دين الله واتِّخاذِ الآياتِ هُزُوًا

مرجعُ الضَّمائرِ في ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾:

الضَّميرُ في ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ من قولِ اللّه سُبحانه: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا۟﴾ يجوزُ أن يَرْجِع إلى السَّبيلِ، والمَعْنى: ويتَّخذ سبيلَ اللّه هزوًا، فيكونُ كَقَوْلِ اللّهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: 45]، ويجوزُ أن يَعودَ عَلى آياتِ القُرآنِ الكَريم، فيكونُ كَقَوْلِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا۟﴾ [البقرة: 231]، ويحتملُ عَوْدُهُ على الأحاديث؛ لأنَّ ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ اسْمُ جنسٍ بِمَعْنى الجَمْع، أي: لَهْو الأحاديث[2]، والأظْهَرُ رُجوعُه إلى الأوَّلَيْن دونَ الثّالث، ولا تنافيَ بَيْنَ ذَيْنِكَ الوَجْهَيْن؛ لأنَّ آيات اللّه تَعالى مِنْ جُملةِ سبيلِه الموصلةِ إلَيْه؛ فَكِلاهُما يقَعُ عليه الاسْتِهْزاءُ.

اسْتِهْزاؤُهُمْ بِآياتِ اللهِ تَعالى المُحْكَمة

تَوْجيهُ القِراءاتِ في ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾:

قرأ ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا۟﴾ بالنَّصْب: حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ ويعقوب وخلفٌ العاشرُ، وقرأ باقي العَشَرَة

التَّكامُلُ الدّلاليُّ لِلقِراءاتِ القُرآنيَّةِ

(1) وهي قراءة: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر، وقرأ الباقون بالنّصب.
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 18/ 98، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 410.

﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ بالرَّفْعِ[1]، فالنَّصْبُ عطفًا على الفِعْلِ ﴿لِيُضِلَّ﴾، وعلى هذهِ القِراءَةِ يكونُ الاتِّخاذُ المَذْكورُ مِن جُمْلَةِ التَّعليلِ، والمَعْنى: أنَّهُ يَشْتَري لَهْوَ الحديثِ لِلإضْلالِ عَن سبيلِ اللهِ تَعالى واتِّخاذِ آياتِ اللهِ هُزوًا، والرَّفع عطفًا على الفِعْلِ ﴿يَشْتَرِي﴾، فيكونُ مِن جُمْلَةِ الصِّلةِ، أو على جَعْلِ الواوِ استئنافيَّةً، والجملة بعدَها مُسْتَأنَفَة[2].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ (الافْتِعالِ):

تَكْليفُ النَّفْسِ ضِدَّ ما تَدْعو إلَيْهِ الفِطْرَةُ غايَةٌ في الانْحِرافِ

في التَّعْبيرِ بِصيغَةِ (الافْتِعال) في (يَتَّخِذ) من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا۟﴾ إيماءٌ إلى أنَّ ذلكَ واقعٌ على وجْهِ التَّكلُّفِ، فهُو يُكَلِّفُ نفسَهُ ضِدَّ ما تَدْعوهُ إلَيْهِ فِطْرَتُه الأُولى، بأنْ يَأخُذَ السَّبيلَ التي لا أشْرَفَ مِنْها هُزُوًا مَعَ ما ثبتَ لَهُ مِنَ الجَهْلِ المُطْبِقِ المُطْلَقِ[3]، والفعلُ (اتّخذَ) منَ الأفعالِ التي تتعدَّى إلى مفعولين؛ للدّلالة على التّحويل والجَعْل والتّصيير، فهو يُصيّرُ جاهدًا تلك الآياتِ المحكمةَ هُزُوًا بسببِ استخفافِه بها وسُخريّتِه منها، ومُحاولاتِه للانتقاصِ من قيمتها وقُدسيّتِها.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿هُزُوًا۟﴾:

بَيانُ مُبالَغَتِهِمْ في الاسْتِهْزاءِ

نُكِّر لفظُ ﴿هُزُوًا۟﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا۟﴾؛ لإرادةِ التَّعظيمِ في الهُزْءِ، ويُؤَيِّدُهُ التَّعبيرُ عَن المفعولِ الثّاني (الهُزْءِ) بالمَصْدَرِ؛ إذِ الأصْلُ: ويَتَّخِذَها مَهْزوءًا بِها، ولَكِنْ عُبِّر بالمَصْدَرِ لِقَصْدِ المُبالغَةِ في هَذا الاتِّخاذِ، حتّى كأنَّه جعَلَها نَفْسَ الهُزْءِ.

نُكْتَةُ الفَصْلِ في الآيَةِ:

بَيانُ حالِ جَزاءِ المُضِلّينَ في الدّارِ الآخِرَةِ

فُصِلَ قولُ اللهِ تَعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ عمّا قَبْلَه؛

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 346، والبَنّا، إتحاف فضلاء البشر، ص: 447.
(2) القِنَّوجي، فتح البيان: 10/ 277.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 149.

لِوُقوعِها اعْتِراضًا بينَ جُمْلَةِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾ وجُمْلَةِ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾؛ قَصْدًا لِبَيانِ جَزائِهِ في الآخرةِ قَبْلَ ذِكْرِ حالِه الأُخْرى؛ ليَسْتَقِلَّ كُلُّ حالٍ بعَذابٍ[1]، ويحتملُ أن يكونَ استئنافًا بيانيًّا لما يُثيره الحُكمُ المتقدّمُ من سؤالٍ عن مصيرِ هؤلاءِ المُضلّين والمُستهزئين.

غَرَضُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

الإشْعارُ بِكَوْنِهِمْ بُعَضاءَ بُعَداءَ في الشَّرِّ والفَسادِ

أُوثِرَ اسْمُ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، وهو دالٌّ على البُعْدِ؛ لِلإيماءِ إلى أنَّهم بُغَضاءُ بُعَداءُ في الشَّرِّ، وبُعَداءُ عَنْ رُتبة الإنسانِ[2]، والإشارةُ راجعةٌ إلى المَذْكورِ باعْتِبارِ اتِّصافِه بما ذُكِرَ مِنَ الصِّفاتِ الشَّنيعةِ والخِلالِ القبيحَةِ المُميِّزةِ لَهُ عمَّن عداهُ أكملَ تَمْييزٍ وأوضَحَهُ، بِحَيْثُ صارَ كأنَّهُ حاضرٌ مُشاهَدٌ عَلى ما هُوَ عليه، وبذلك يتمُّ التّقابلُ بينَ الإشارةِ إلى أولئكَ المُحسنين، والإشارةِ إلى هؤلاءِ المُضلّين؛ إذ كلٌّ منهما تميَّز بخِلالٍ معيّنةٍ، لكنَّ افتراقَ تلك الخِلال وتضادَّها استوجبَ اختلافَ وظيفةِ الإشارتين من تعظيمٍ إلى تحقيرٍ، فبينهما طباقٌ خفيٌّ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ جَمْعًا:

تَهْويلُ العَذابِ وتَفْخيمُهُ

اخْتيرَ التَّعبيرُ باسْمِ الإشارَةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ جَمْعًا؛ حَمْلا على مَعْنى (مَنْ) في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾، والجَمْعُ أنسبُ لمَقام الجزاءِ؛ لكونِه أدخلَ في التَّهويل[3]، وهذا التّنوُّعُ بينَ الإفراد والجمع يُشيرُ إلى أنَّ فعلَهم بلا تأثيرٍ ولا جدوى؛ لأنّه باطلٌ وقائمٌ على عبثٍ ظاهرٍ، بخلاف الجزاءِ فإنَّه حقٌّ وصِدقٌ، ومن ثَمَّ أُفرِدَ في بيانِ عملِهم وتفصيل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 144.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 149.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 149.

فعلِهم استخفافًا به وازدراءً، وجُمِعَ في موطن الجزاء والعقابِ تنكيلًا بهم وإظهارًا لعَظَمةِ عقابِ اللّه لهم.

مَعْنى اللّامِ في ﴿لَهُمْ﴾:

ثُبوتُ الخِزْيِ لَهُمْ ضِدّ ما كانَ لِلمُحْسِنينَ مِنَ الرَّحْمَةِ

اللّامُ في الأصلِ موضوعةٌ للأمْرِ المُلائِم، فتقولُ: دَعَوْتُ لَهُ، في بابِ المَنْفَعَة، ودعوتُ عليه، في بابِ المَضَرَّة، واللّام في ﴿لَهُمْ﴾ مِنْ قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ واردةٌ على جهةِ التَّهَكُّم في التَّعْبير؛ لأنَّ العذابَ المُهينَ مَضَرَّةٌ عظيمَةٌ لَهُم، فالمَعْنى: يَثْبُت لَهُم الخِزْيُ ضِدّ ما كانَ لِلمُحْسِنين مِنَ الرَّحمة[1]، كما أفادتِ اللّامُ الاستحقاقَ والاختصاصَ؛ فالعذابُ مختصٌّ بهم لما اقترفوه؛ وكان التّعبيرُ عنِ العقابِ من جنس العمل؛ إذِ اشتراؤُهم لهوَ الحديثِ للإضلالِ والاستهزاءُ بالآيات أوجبَ التّهكُّم بهم بإثباتِ العذابِ لهم.

نُكْتَةُ تَقْديمِ الخبر:

شِدَّةُ العَذابِ الواقِعِ عَلى أهْلِ الكُفْرِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿لَهُمْ﴾ الواقعُ خبرًا في قولِ اللّهِ سُبْحانَهُ: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لإرادةِ القَصرِ، وفيهِ: قَصْرُ العذابِ المُهينِ عَلى المَذْكورينَ، وهُوَ قَصْرُ صفةٍ على موصوفٍ قَصْرًا ادِّعائيًّا، ونُكْتَتُهُ: الإيماءُ إلى شِدَّةِ هذا العذابِ المهينِ الذي يُلاقونَهُ، حتَّى كأنَّ العذابَ المهينَ الذي ينالُ غيرَهُم ليس بِشَيْءٍ بالنِّسبةِ إلى ما يلاقونَه هُمْ، وفي النّصِّ إيماءٌ إلى أنَّ عذابَ الضّالّين مغايرٌ لعذاب المُضلّين؛ لأنَّ الضّلال قاصِرٌ، والإضلالَ متعدٍّ، فناسبَ أنْ يكون العذابُ مختصًّا بهم، مقصورًا عليهم.

نُكْتَةُ التَّنْكيرِ في قوله: ﴿عَذَابٌ﴾:

تَفْخيمُ العَذابِ وتَعْظيمُهُ

نُكِّر لفظُ ﴿عَذَابٌ﴾ مِن قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ للدّلالَةِ عَلى تَعْظيمِه وتَفْخيمِه، ويُحتمَلُ أنْ يكون التّنكيرُ للنّوعيَّة؛ إشارةً إلى أنّه عذابٌ من نوعٍ خاصٍّ، لا يشاركُهم فيه

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 149.

غيرُهم؛ لشِدَّةِ بُغضِهم للآيات، ومُسارعتِهم إلى تكذيبها، والإعلاءِ من شأن الكلام الباطلِ عليها معارضةً ومُعاندةً.

فائِدَةُ وصْفِ العَذابِ بِالمُهِين:

تِلاوَةُ الآياتِ عليهم لا تَزيدُهُم إلّا طُغْيانًا وخَسارًا

وُصِفَ العذابُ بالإهانَةِ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لكونِه مُلائِمًا لِجُرْمِهم وسُوءِ صَنيعِهم؛ لأنَّهُم فَعَلوا ما فَعَلوهُ مِن بابِ الاسْتِعْلاءِ والاسْتِكْبارِ والعِناد، كَما يدُلُّ لِذَلِكَ قولُ اللّهُ سُبْحانَهُ بَعْدُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾، فَهُو لا يَزْدادُ بِتِلاوَةِ الآياتِ عليه إلّا بَغْيًا وطُغْيانًا[1]، ونلحظُ في توصيفِ العذاب بالإهانةِ لهم أنَّ أصلَ العذابِ كان لإضلالِهم، ووصفُه بالمُهين كان لاستخفافِهم واستهزائِهم.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿مُّهِينٌ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

كمالُ العذابِ المقرونِ بالإهانة

في التَّعبيرِ بِلَفْظِ ﴿مُّهِينٌ﴾ إيماءٌ إلى أنَّه عذابٌ دائمٌ، ووجْهُ ذَلِكَ: أنَّ المَلِكَ إذا أمَرَ بتَعْذيبِ عَبْدٍ مِن عبيدِه، فإنَّ الجَلّادَ المُوكَّلَ بذلك إذا عَلِمَ أنَّ المُعَذَّبَ ممَّن سَيعودُ إلى خِدْمَةِ المَلِكِ ولا يَتْرُكُه المَلِكُ في الحَبْسِ؛ فإنَّه يُكْرِمُه ويُخَفِّف مِن تَعْذيبِه، أمّا إذا عَلِمَ أنَّ هذا المُعَذَّب لا يعودُ إلى ما كانَ عليه، وأنَّ أمْرَه قَدِ انْقَضى؛ فإنَّه لا يُكرِمُه، ويُديم عذابَهُ ويُشدِّد عليه فيه[2].

مَعْنى الواوِ في ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾:

بَيانُ حالِ المُنْحَرِفينَ عَنْ آياتِ اللهِ تَعالى ودينِهِ

الواوُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ عاطِفَةٌ الجُمْلَةَ بعدَها عَلى الجُمْلَةِ قَبْلَها: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى﴾؛ وذلكَ لاشْتِراكِهما في الخبريَّةِ، وبينَهُما مُناسبَةٌ مَعْنَويَّة؛ إذْ كُلٌّ مِنَ الآيتَيْنِ في ذِكْرِ حالِ المُنْحَرِفين عَن دينِ اللّهِ تَعالى وآياتِه، فيكونُ بينَ الجُمْلَتَيْنِ توسُّطٌ بينَ الكَمالَيْنِ.

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغيّة، ص: 1562 - 1563.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 115.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ (إذا):

اقترانُ الإعراض والاستكبار بالتّلاوةِ خطرٌ عظيم

عُلِّق الشَّرْطُ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ بـ (إذا) دونَ غَيْرِها؛ لأنَّ (إذا) تدُلُّ على الجَزْمِ والقَطْعِ بِوُقوعِ مَدْخولِها، فيكونُ فيهِ إيماءٌ إلى أنَّ تلاوةَ آياتِ اللّهِ تَعالى عليهِ أمْرٌ محقَّق، إلّا أنَّه قابلَ ذلكَ بالإعْراضِ والاسْتِكْبارِ عَنْها المحقَّقينِ المقطوعِ بوقوعِهما، وفي ذلك الاقترانِ تنبيهٌ على الخطرِ العظيم الَّذي ينتابُ هؤلاءِ المُستكبرينَ؛ إذ يُعرضونَ عنِ الآيات ويَستكبرون عليها عندَما تُتلى عليهم، وهذا مُنتهى الإعراضِ، وكمالُ الاستكبار.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿تُتْلَىٰ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

إقامَةُ الحُجَّةِ عليهمْ بِأبْلَغِ صُوَرِها

عُبِّر بفِعْلِ التِّلاوَةِ ﴿تُتْلَىٰ﴾ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ دون القِراءة؛ لِما في لَفْظِ التِّلاوةِ مِنَ الدّلالَةِ عَلى تَبْيينِ الحُروفِ عِنْدَ القِراءَةِ، والتَّأنّي في أدائِها؛ ليَكونَ أقْرَب إلى فَهْمِ المَعاني، ومعَ ذلكَ قابَل ذلكَ بالعِنادِ والاسْتِكْبارِ[1]، والتّلاوةُ مأخوذةٌ مِنَ التُّلُوِّ بمعنى المتابعة على الأمر؛ للدّلالة على أنَّ تلك التّلاوةَ مُستمرّةٌ من دون أيِّ انتفاعٍ بها أو تدبُّرٍ في معانيها، وجاءَ التَّعبيرُ بالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿تُتْلَىٰ﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ التِّلاوةَ تَتَجَدَّدُ عليهِ ولَم تَكُن أمرًا عارضًا[2]، وبُنِي الفِعْلُ ﴿تُتْلَىٰ﴾ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُه؛ للإشارَةِ إلى العُموم، أي: وإذا تُتْلى عليهِ آياتُ اللّهِ سُبحانَهُ مِن أيِّ تالٍ كانَ ولَو كانَ عظيمًا؛ فإنَّ النَّتيجةَ واحدةٌ، وهيَ عِنادُهُ واستكبارُهُ عنِ الانقيادِ لَها.

غَرَضُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ على الفاعل:

شِدَّةُ الاعْتِناءِ بِإقامَةِ الحُجَّةِ عَلَيهِ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَيْهِ﴾ من قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾؛ لِلدّلالَةِ على العنايةِ والاهتمامِ دونَ القَصْر،

(1) علي، سورة لقمان دراسة بلاغيّة، ص: 1563.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 150.

لأنَّ الآياتِ تُتلى على مسامعِ الجميعِ، فمنهم مَن يُعرِض ويَستكبر، وفي التّقديمِ مَزيدُ اعْتِناءٍ بحالِ هذه الطّائفةِ التي تقابلُ التّلاوةَ بالإعراضِ والاستكبار، وأفادَ حرفُ الاستعلاءِ ﴿عَلَيۡهِ﴾ أنَّ التّلاوةَ تتسلّطُ عليهم بُغيةَ التّأثيرِ فيهم، لكنَّهم يُعرِضون مُستكبرين.

نُكْتَةُ إضافَةِ الآياتِ إلى ضَميرِ العَظَمَةِ:

تَعْظيمُ الآياتِ وتَقْبيحُ الإعْراضِ عَنْها

أُضيفَتِ الآياتُ إلى ضميرِ العَظَمَةِ الدّالِّ على اللّهِ تَعالى في قولِهِ سُبْحانَه: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾؛ تَعْظيمًا لشأنِ المُضافِ وهُوَ الآياتُ، ولازِمُ ذَلِكَ المُبالَغَةُ في تَقْبيحِ فِعْلِ المُسْتَكْبِر عَنْها؛ إذْ أعْرَضَ واسْتَكْبَرَ عَن أمرٍ جليلٍ في غايَةِ العَظَمَة، كما أنَّ تسميةَ كلامِ اللّه تعالى بـ(الآيات) طباقٌ خفيٌّ مع ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾؛ فإنَّ ما تمسَّك به هؤلاءِ المستكبِرونَ حديثٌ عابثٌ، وخالٍ منَ الحكمة، وتركوا الاستمساكَ بالحديث الَّذي هو آياتٌ بيّناتٌ مُحكَمات.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِـ ﴿وَلَّىٰ﴾:

تَمْثيلُ إعْراضِهِمْ عَنِ الآياتِ

جُمْلَةُ ﴿وَلَّىٰ﴾ من قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ لا محلَّ لَها مِنَ الإعْرابِ؛ لوُقوعِها جوابَ شَرْطٍ غيرِ جازمٍ[1]، والتَّعْبيرُ بالفِعْلِ ﴿وَلَّىٰ﴾ تَمْثيلٌ للإعراضِ عَن آياتِ اللّهِ تَعالى، فَهُو كقَوْلِ اللّهِ سُبْحانَهُ: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢﴾ [النّازعات: 22][2]، فيكونُ هناك مجازٌ بالاستعارة التّمثيليَّة؛ إذ شَبَّه حالَ المُعرِض عن سماعِ الآيات بحالِ المُتوجِّهِ الرّاجعِ عن مكانِ الحضور، والجامعُ بينهما التّوجُّه إلى جهةٍ عن قصدٍ ونيَّة، وبذلك يتحوّلُ الإعراضُ عن سماعِ الآيات والنّفورُ، منَ الإصغاءِ للنّصوصِ المُحكمات إلى حالةِ استدبارٍ للمجلسِ، والتّوجُّهِ إلى جهةٍ مضادّةٍ له، بكلِّ قصديّةٍ ورغبةٍ فيه.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 528.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 144.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِـ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾:

شَناعَةُ التَّوَلّي عَنِ الآياتِ مُقترِنًا بالاسْتِكْبارِ عَنْها

لفظُ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ منصوبٌ عَلى الحالِ، وصاحبُها ضميرُ الفاعلِ المستترُ في ﴿وَلَّىٰ﴾، والقَصْدُ مِن ذلكَ الإيغالُ في بيانِ إعراضِه، وذلك أنَّ التَّولّيَ عَنِ الآياتِ شنيعٌ في نَفْسِه، فكيفَ إذا انْضَمَّ إلى ذلكَ الإعْراضِ الاسْتِكْبارُ؟! إذِ الحالُ تقييدٌ للعامل؛ ليُحْتَرسَ به عن كون الإعراضِ لشُغْلٍ ضروريٍّ أو لطلبِ منفعةٍ ما، وبذلك يمتزجُ الإعراضُ بالاستكبار، ويكونُ الاستكبارُ مقرونًا بعمليّة الإعراض والنّفور، ممّا يدلّ على مدى القصديَّة في عدم الإصغاءِ للآيات البيّنات، والانشغالِ عنها بلَهْوِ الحديث.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ مادَّةً وصيغَةً:

بَيانُ جِنْسِ الإعْراضِ وأنَّهُ اسْتِكْبارٌ لا تَفْريطٌ في الخَيْرِ

جاءَ التَّعبيرُ بمادّة الاسْتِكْبارِ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾؛ للدّلالَةِ عَلى أنَّ إعْراضَهُ هو إعراضُ اسْتِكْبارٍ وعِنادٍ، لا إعْراضُ تفريطٍ في الخيرِ فَحَسْبُ، ودلّتِ المادّةُ على ظُلمٍ شديدٍ؛ إذِ الكِبْرُ غمْطُ الحقِّ وظُلْمُ النّاس، فهو يعلمُ أنَّ الحديثَ الَّذي يتمسّكُ به مُجرّدُ لَهْوٍ، وأنَّ الآياتِ مُحكَمةٌ مُعجزةٌ، لكنَّه يُغالي في الظُّلمِ بتركِ الحقِّ والحقيقة، ويجعلُ من نفسِه كبيرًا عليهما، وفي اختيارِ صيغَةِ الاسْتِفْعالِ (الاسْتِكْبارِ) في قولِه: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾؛ للإيماءِ إلى مُبالَغَتِه في التَّكَبُّر[1]، وفي (اسْتَكْبَر) مَعْنى الطَّلَبِ أيضًا؛ كأنَّه لِمُبالغتِه في الكِبْرِ يَطْلبُ شَيْئًا ليْسَ لَه أهلٌ حرصًا على تحصيلِه، فالزّيادةُ في الصّيغَةِ هاهُنا تدُلُّ على الطَّلَبِ والتَّصنُّعِ والمُبالغَةِ، فَهُو يَسْتَكْبِرُ حالَ كونِهِ غَيْرَ أهلٍ لِذَلِكَ، مِمّا يُضاعفُ قُبْحَ صورتِه، وبَشاعةَ هَيْئَتِه[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 69، والقِنّوجي، فتح البيان: 10/ 278، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 144.

(2) علي، سورة لقمان دراسة بلاغيّة، ص: 1563.

نُكْتَةُ فَصْلِ التّشبيهِ الأوّل:

حـالُـهُ في عَـدَمِ الانْتِفاعِ بِالآياتِ كَـحـالِ مَـنْ لَـمْ يَسْمَعْها أصْلًا

قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ في موضع النَّصْبِ على الحالِ[1]، وفُصِلَ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّ من شأنِ الحالِ إذا كانَت مُفْرَدةً أن لا تُعطَفَ على صاحِبِها؛ إذْ هيَ بِمَنْزِلَة النَّعْتِ والخبَرِ عَنْهُ، وكذلك الحالُ إذا كانَت جملةً تُفصلُ تبعًا لأصْلِها، وهيَ الحالُ المُفْرَدَةُ، إلّا إذا وُجِد مُقْتَضٍ للعَطْفِ، ولَم يوجَد هاهُنا.

ويجوزُ أن يكونَ فَصْلُ الجُمْلَةِ من بابِ الاسْتِئْنافِ البَيانيِّ، وذلكَ لأنَّه لمّا أخبَر عَن حالِ المُعْرِض بقولِه: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾؛ أورثَ ذَلِكَ في نَفْسِ المُتَلَقّي سؤالًا؛ وهُو: وهَل سَمِعَ الآياتِ التي تُلِيَتْ عليه وعقَلَها؟ فجاءَ الجوابُ: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ أي: سَمِعَها سَماعَ أذُنٍ، ولكِنَّ حالَهُ في عدَمِ الانْتِفاع كحالِ مَن لَم يَسْمَعْها أصْلًا.

بَلاغَةُ التَّشْبيهِ:

بَيانُ قَسْوَةِ قَلْبِهِ وشِـدَّةِ إيغـالِهِ فـي الإعْـراضِ والعِنادِ

في قولِ اللّهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ تشبيهٌ بالكاف، أي: إنَّ حالَه بعدَ السَّماع تُشْبِهُ حالَه حينَ لَم يَسْمَعْها[2]، فأفادَ هَذا التَّشبيهُ أنَّهُ لم يَزَلْ عَلى حالِ الكِبْرِ، وهو دالٌّ على قَسْوَةِ قَلْبِه وإيغالِه في الإعْراضِ والكِبْرِ والعِنادِ[3]، ففي تشبيهِ السّامع بغيرِ السّامع تشبيهٌ للموجودِ سمعُه بالمعدوم سمعُه في عدمِ الانتفاعِ به؛ فكأنَّه لا قيمةَ للسَّماع الخالي من التّفهُّم والاعتبارِ والاتِّعاظ؛ وفي هذا تأشيرٌ مهمٌّ على الفرقِ الكبيرِ بينَ سماعِ لهوِ الحديث وسماعِ الآيات؛ فاللهوُ يُسمَعُ أحيانًا لمُجرّدِ إضاعةِ الوقتِ، والتّرويحِ أحيانًا عنِ النّفس؛ لاختلاطِه بالباطل، وأمّا سماعُ الآيات البيّنات فإنَّه يحتاجُ إلى أُذُنٍ واعيةٍ، ونفسٍ مُعتبرة صافية، وقلبٍ حاضرٍ، وعقلٍ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 69.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 150، والقِنَّوجي، فتح البيان: 10/ 278.
(3) علي، سورة لقمان دراسة بلاغيّة، ص: 1564.

راسخ، ومَن سمِعَ الآياتِ ولم يتَّصف بذلك ولم يتَّعظ بها، فحالُه حالُ غيرِ السّامع، إذِ الغَرضُ منَ السَّمع العِلْمُ والانتفاع، فيكونُ هذا السّامعُ بأُذُنه الغافلُ بقلبه كحالِ الجاهلِ بها غيرِ العارف لها.

عِلَّةُ فَصْلِ التّشبيهِ الثّاني:

بَـيـانُ سَـبَـبِ الإعْـراضِ عَـنِ الآياتِ

فُصِلَ قولُ الله ﷻ: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ عمّا قبلهُ؛ لكونِهِ في موضعِ الحالِ؛ ومِن شأنِ الحالِ إذا كانَت مُفْرَدةً أن لا تُعطفَ على صاحِبِها؛ إذْ هيَ بِمَنْزِلَة النَّعْتِ والخبَرِ عَنْهُ، وكذلك الحالُ إذا كانَت جملةً تُفصلُ تبعًا لأصْلِها، وهيَ الحالُ المُفْرَدَةُ، إلّا إذا وُجِد مُقْتَضٍ للعَطْفِ، ولَم يوجَد هاهُنا، ويجوزُ أن يكونَ الفَصْلُ لِكَونِهِ استئنافًا بيانيًّا؛ وذلكَ لأنَّ قولَهُ تَعالى: ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾ يَبْعَثُ في نفسِ المُتَلَقّي سُؤالًا، وهو: ما سبَبُ هذا الإعراضِ الذي صيَّره بمنزلَةِ الذي لا يَسْمَعُ تلكِ الآياتِ؟ فجاءَ الجوابُ: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾[1].

وأظْهَرُ مِنَ الوَجْهَيْنِ المُتَقدِّمين - على أنَّه لا تنافيَ بَيْنَها - أن يُقال: إنَّ قولَهُ تَعالى: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ﴾ فُصِل عَمّا قَبْلَهُ: ﴿كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾؛ لأنَّ بينَ الجُمْلَتَيْنِ كمالَ الاتِّصالِ؛ إذِ الجُمْلَةُ الثّانية مؤكِّدَةٌ لِمَضْمونِ الجُمْلة الأُولى؛ "لأنَّ المقصودَ مِنَ التَّشبيه بِمَنْ في أُذُنَيْه وقْرٌ، هُوَ بِعَيْنِه المقصودُ مِنَ التَّشبيه بِمَنْ لَم يَسْمَع، إلّا أنَّ الثّانيَ أبْلَغُ وآكَدُ في الّذي أُريدَ"[2]، كما أنّ الّذي لم يسمعْ يكون غائبًا عن مكان السَّماعِ للتّلاوة، لكنَّ هذا المُعْرِضَ المُسْتَكْبِرَ كان حاضرًا وسامِعًا، فعرّج إلى ذِكْر تشبيهٍ آخرَ توكيدًا لعدم سماعِه، وهو أنَّ هذا السّامعَ الحاضرَ مثلُ الّذي وضعَ مانعًا منَ السَّماع في أُذُنيه.

غَرَضُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ:

الاهْـتِـمـامُ بِـآلَـةِ الإدْراكِ

في تَقْديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿فِيٓ أُذُنَيۡهِ﴾ مِن قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿كَأَنَّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 69.
(2) الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 228 - 229.

﴿فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾ اهتمامٌ بآلَةِ الإدراكِ، وأنَّها لم تَنْفَعْهُ، كأنَّ فيها خَلَلًا مانِعًا مِنْهُ، وفي تأشيرِ محلِّ السَّمعِ بيانٌ لقيمةِ الآلاتِ الحسيَّة في نقلِ المعلوماتِ إلى النَّفس، فإنْ كانتِ النّفسُ غيرَ مُتأثّرةٍ كما دلَّ عليه التشبيهُ الأوّلُ؛ إذ شبَّه السّامعَ بغيرِ السّامع، بمعنى أنَّ النّفسَ لم تدركْ ما وصلَ إليها بحاسّة السّمع، وكانت الأذنانِ مُعطّلتَينِ عنِ السَّماع؛ لوجودِ مانعٍ فيها كما دلَّ عليه التّشبيهُ الثّاني، فكيفَ يتحقّقُ الانتفاع؟!.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿وَقۡرٗا﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿وَقۡرٗا﴾ من قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾؛ لإرادةِ التَّعْظيم، أي: كأنَّ في أُذُنَيْهِ صَمَمًا شَديدًا لا يَتَأتّى معَهُ أدْنى دَرجاتِ السَّماعِ.

بَيانُ شِدَّةِ الإعْراضِ عَنْ سَماعِ الآياتِ

نُكْتَةُ تَوالي التَّشْبيهاتِ:

وردَ التَّشبيهُ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا﴾، ثُمَّ أُتْبِع بِتَشْبيهٍ آخَرَ في قولِهِ سُبْحانَهُ: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا﴾؛ لِتَقْوِيَةِ التَّشبيهِ الأوَّل معَ اخْتلافِ الكَيْفيَّةِ في أنَّ عدَمَ السَّمْعِ مَرَّةً معَ تَمَكُّنِ آلَةِ السَّمْعِ، نظرًا لتعطُّلِ نفسِهِ وعقلِهِ، ومرَّةً أُخْرى مَعَ انْعِدامِ قُوَّةِ آلَتِه، فكانَ التَّشبيهُ الثّاني أخَصَّ مِنَ الأوَّلِ[1].

التَّفَنُّنُ في بَيانِ قُوَّةِ الإعْراضِ عَنْ آياتِ اللهِ سُبْحانَهُ

مَعْنى الفاءِ في قَوْلِهِ: ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾:

الفاءُ في ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فصيحةٌ[2]؛ لكَوْنِها أفْصَحَت عَن شَرْطٍ مُقَدَّر، والتَّقدير: إذا كانَتْ حالُه ما ذُكِرَ مِنَ الإعْراضِ والاسْتِكْبارِ؛ فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أليم، ففي الآيةِ إيجازٌ بالحَذْفِ، وقابلَ هذا الشّرطُ وجوابُه الشّرطَ السّابقَ وجوابَه مقابلةَ الجزاءِ والعقوبةِ على الفعلِ والجُرم.

طَيُّ ما دَلَّ السِّياقُ عليه إيجازًا في اللَّفْظِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 144.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 528.

بَلاغَةُ الاستِعارَةِ في الأمْرِ بالبِشارة:

التَّهَكُّمُ بالمُستَكبِرِ عَنِ الآياتِ

البِشارةُ: كلُّ خبرِ صِدْقٍ تتغيَّر بَشرةُ الوجهِ به، وبِناءً على هذا؛ فإنَّ البِشارَةَ تُستَعمَل في الخَيْرِ والشَّر، إلّا أنَّها في الخَيْرِ أغلَبُ، وهيَ في قَوْلِه تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ من غَيْرِ الغالِب، بقرينَةِ ذِكْرِ العَذاب الأليم، وذهبَ بعضُ أهْلِ العِلْم إلى أنَّ البِشارَة هيَ الخَبَرُ السّارُّ وحدَهُ، واستعمالُه في غيرِه مِن بابِ التَّهَكُّم[1]، فيكونُ في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استعارةٌ تهكُّميَّة[2]؛ إذ شبّهَ الإخبارَ والإبلاغَ للجزاءِ الأليم والمصيبةِ العُظمى بالتّبشيرِ والتّهنئةِ على تحصيله، تشبيهَ الضِّدِّ بالضِّدِّ بعدَ ادّعاءِ مناسبةٍ بينهما؛ لتحقيقِ التّهكُّم والاستخفافِ والسُّخرية، والغرضُ منَ التّهكُّم مقابلةُ تهكُّمِهم بالآيات؛ إذِ الَّذي تولَّى كان مُستكبِرًا، فكانَ العذابُ لتولّيه، وكانتِ التّهنئةُ له لتَهكُّمِه واستخفافِه بالآيات؛ إذ شانُ المستكبرينَ الاستخفافُ.

مَعْنى الباءِ في قَوْلِهِ: ﴿بِعَذَابٍ﴾:

لُزومُ العَذابِ لَهُمْ وعَدَمُ مُفارَقَتِهِ إيّاهُمْ

الباءُ في قَوْلِ اللّهِ تَعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ للإلْصاقِ والمُصاحَبَةِ، وفيه إيماءٌ إلى ملازمةِ العَذابِ الأليم لهُم، ومُصاحَبَتِه لَهُم مُصاحبةً لا تُفارِقُهُم بحالٍ، فإنْ كان التّولّي مُصاحِبًا لهيئةِ الاستكبار، فإنَّ التبشيرَ مُصاحبٌ ومُلتبسٌ بالعذابِ الأليم، فتحقّقتِ المقابلةُ بين كِلا المُلابِسين، أعني: الفعلَ معَ التّهكُّم.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ لَفْظِ ﴿بِعَذَابٍ﴾:

تَفْخيمُ العَذابِ وتَعْظيمُهُ

نُكِّر لفظُ ﴿بِعَذَابٍ﴾ من قولِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ للدّلالَةِ عَلى تَعْظيمِه وتَفْخيمِه، ويحتملُ أنْ يكون التّنكيرُ للنّوعيّة؛ بيانًا لكونه عذابًا يختلفُ عمّا يتصوّرُه الإنسان أو يدورُ في مُخيّلته، ويُقوّيه الوصفُ له بالأليمِ الكاشفِ عن تلك الغرابةِ فيه.

(1) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 45، والمُناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 78.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 69، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 145.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿أَلِيمٍ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

قُـوَّةُ الـعَـذابِ الـواقِـعِ عليهمْ وفَرْطُ إيلامِهِ

اخْتيرَ التَّعْبيرُ بلَفْظِ ﴿أَلِيمٍ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ لأنَّه أدلُّ على قوَّةِ العذابِ وشِدَّةِ إيجاعِه؛ إذِ الأليمُ هو الموجِعُ إيجاعًا شديدًا[1]، وفي وصْفِ العَذابِ بالأليمِ بصيغَةِ (فَعيلٍ) إيماءٌ إلى إفْراطِ هَذا العذابِ في الإيلامِ[2]، بناءً على أنّه صفةٌ مشبّهةٌ أو صيغةُ مبالغةٍ، ويحتملُ أنْ يكونَ اسمَ مفعولٍ بمعنى (مؤلَم)؛ مبالغةً في شدّةِ العذابِ وفظاعتِه، حتّى إنَّ العذابَ يتلوَّى لفرطِ قوّتِه.

بَلاغَةُ المُتشابِهِ اللَّفْظيِّ في وصْفِ العَذابِ:

دِقَّـةُ الـنَّـظْـمِ القُرْآنيِّ في انْتِقاءِ الأَلْفاظِ المُلائِمَةِ لِسياقاتِها

وَصْفُ العذابِ في القُرآنِ الكريمِ بأوصافٍ كثيرَةٍ، مِنْها: كونُهُ مُهينًا، وأليمًا، وعظيمًا، فيَرِدُ وصفُه بالمُهين في سياقِ جَزاءِ مَن يَتَكَبَّر على غَيْرِه، ويَسْتَعْظِمُ ما عِنْدَهُ، فيكونُ العَذابُ المُهينُ أنْسَبَ لَه؛ لِمَحْقِه مشاعِرَ الكِبْرِ والغُرور عِنْدَهُ، ولأنَّه مجازاةٌ لَهُ بنَقيضِ قَصْدِه، ومِنْهُ آيةُ لُقْمانَ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، فإنَّ الباعثَ عَلى الاستهزاءِ هُو الكِبْرُ وغَمْطُ الشَّيْءِ المُسْتَهْزَأِ بِهِ.

ويوصَفُ العذابُ بالأليمِ؛ إذا كانَ المُعذَّب أو المُتوعَّدُ بالعذابِ سَبَّب بجُرمِهِ آلامًا كثيرةً لأهلِ الإيمانِ، واخْتيرَ لَهُ العَذاب الأليمُ؛ ليكونَ الجَزاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ، ومنهُ آيةُ لُقْمانَ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ فإنَّ المبلِّغ لآياتِ اللهِ سُبْحانَهُ، إذا قوبِلَ بالإعْراضِ والاسْتِكْبارِ؛ يكبُرُ ذلكَ في نفسِه، ويَجِدُ لذلكَ ألَمًا معنويًّا عظيمًا، فناسبَ أن يُعاقَب المُتَسَبِّب في ذلكَ الألَمِ بالعذابِ الأليمِ، وأمّا الإهانةُ لهم فقد أوحتْ بها الاستعارةُ ﴿فَبَشِّرْهُ﴾، ولم يُذْكَر العَذابُ المُهينُ في آيةِ لُقمان

(1) الرّاغب، المفردات: (ألم).

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 69.

المتقدِّمَةِ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ مع أنَّه نُصَّ على الاستكبارِ؛ اكتفاءً بذِكْرِه في الآيةِ المتقدِّمَةِ، وليُجمَعَ لَهُ ألوانٌ مِنَ العذابِ.

وقَد يوصَفُ العذابُ بالعظيمِ، وذلكَ إذا عَظُمَ الجُرْمُ والذَّنْبُ؛ ليكونَ الجزاءُ مِن جِنْسِ العَمَلِ، ومِنْهُ قولُ اللهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة: 6 - 7]، فقد وردَتْ هذهِ الآيَةُ في سياقِ الحَديثِ عَنِ الكُفّارِ الذينَ أعْرَضوا عنِ الحقِّ واسْتَوى لَدَيْهِم الإنذارُ وعَدَمُه، فلَمّا كانَ ذَلِكَ إعراضًا عظيمًا عنِ النَّبيِّ ﷺ؛ ناسبَ أن يُتَوَعَّدوا بالعذابِ العَظيمِ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

اللَّهْو واللَّعِب:

اللَّعِبُ فِعْلٌ واللَّهْوُ انْصِرافٌ وانْشِغالٌ

اللَّعِبُ في اللُّغَة: ضِدُّ الجِدِّ، ويُقالُ لِكُلِّ مَن عَمِلَ عَمَلًا لا يُجْدي عليهِ نَفْعًا: إنَّما أنتَ لاعِبٌ، قال تميمٌ الدّاريُّ في حديثِ الجَسّاسَة: «فَلَعِبَ بِنا المَوْجُ شَهْرًا»[2]، فَسَمّى اضْطِرابَ المَوْجِ لعِبًا؛ لَمّا لَم يَسِر بِهِم إلى الوَجْهِ الذي أرادوهُ، ويُقال: لَعِبَ فلانٌ؛ إذا كانَ فِعْلُه غيرَ قاصِدٍ بِهِ مَقْصدًا صَحيحًا، فاللَّعِب فعلٌ يَخْلو مِنَ الحِكْمَة.

واللَّهْو في اللُّغَة: كُلُّ ما يَشْغَلُ الإنسانَ عَمّا يَعْنيه ويُهِمُّه، ومِن وسائلِه: الهَوى، والطَّربُ، واللَّذّاتُ، والغَفْلَةُ، والانْصِرافُ عنِ الخَير.

والفَرْقُ بينَ اللَّعِب واللَّهْو: أنَّ اللَّعِب فِعْلٌ، بينَما اللَّهْوُ انْصِرافٌ وانْشِغالٌ، وقَد لا يكونُ فِعْلًا، نحوُ: الغَفْلَة؛ فهيَ مِن أعمالِ القُلوبِ، وقَد وردَ ذِكْرُ اللَّعِب في القُرآنِ كَثيرًا، منهُ قولُ اللهِ تَعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ۝٥٥﴾ [الأنبياء: 55]، ووردَ ذِكْرُ اللَّهْوِ كثيرًا

(1) سعد عبد العظيم محمد، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 56.
(2) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (2942).

أيضًا، كقولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: 17]، واجْتمَعا في آياتٍ، مِنْها في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام: 70].

والنُّصوصُ القُرآنيَّةُ تدُلُّ على أنَّ اللَّعِب عملٌ لا يَهْدِف إلى غايةٍ أو منفعَةٍ، وليسَ ذا حِكْمةٍ، وهو جالبٌ لِلَّذَّة وراحةِ البالِ، ولِذا كانَ أكثَرُ إطْلاقِه على عمَلِ الصِّبْيانِ، فشُبِّه عملُ الكِبار إذا خلا مِنَ القَصْدِ والحِكْمَة بِذَلِك، وأمّا اللَّهو؛ فهُو انصرافُ النَّفْسِ عَن الجِدِّ إلى الهَزْلِ، ولا يَلْزَمُ أن يكونَ فِعْلًا، كالذي في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: 2 - 3][1]، ونتيجةً للفرقِ بين اللّعب العمليّ واللهو القلبيّ، كان اللّعبُ مُباحًا بضوابطِه؛ لما فيه من الحركاتِ البدنيَّة والرّياضيَّة والذّهنيّة، وأمّا اللهوُ فحرامٌ؛ لأنّه مُجرّدُ تَلذُّذٍ مقترنٍ بالمُحرَّمات والغَفلة.

الاسْتِهْزاء والسُّخْريَّة:

الاستهزاءُ لا يلزمُ مِنْهُ سبقُ فعلٍ مِنَ المُستهزَأ به يقتضي ذلك، أمّا السُّخريَةُ فإنَّها لا تكون إلّا على فعلٍ صَدَرَ مِنَ المَسْخُورِ مِنْهُ، والقولُ بأنَّ الاستهزاءَ لا يَلْزَمُ مِنْهُ سَبْقُ فِعْلٍ مِنَ المُسْتَهزَأ به يَقْتَضي ذَلِكَ؛ لا يَنْفي وجودَ فعلٍ أصلًا، وإنَّما ينفي اللُّزومَ، فقد يوجَدُ وقد لا يُوجَدُ؛ فهو بِهَذا أعَمُّ مِنَ السُّخريَة، كما أنَّ الاستهزاءَ يكونُ بالقول والفعل، بخلافِ السُّخريَةِ فإنّها تكونُ قوليّةً وكلاميّةً فحسب.

الاسْتِهْزاءُ أعَمُّ مِنَ السُّخْريَةِ

(1) محمد محمَّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 367 - 370.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»